

عناية القرآن الكريم ببيان غاية مكة ورؤيتها ورسالتها وقيمتها.
أحمد محمد أبو الخير – المملكة العربية السعودية – جامعة جدة، كلية
القرآن الكريم والدراسات الإسلامية.

khair99@gmail.com

بإشراف الدكتور/ سلطان بن بدير العتيبي رئيس قسم التفسير وعلوم
القرآن بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بجامعة جدة

تاريخ الطلب: ٢٠٢١/١/٢

تاريخ القبول: ٢٠٢١/١/٢٥

ABSTRACT:

ملخص البحث:

The research deals with an aspect of the multiple and comprehensive Qur'anic care in the Holy Land of Allah (Makkah Al-Mukarramah) which is the aspect that is related to the purpose of the existence of this spot from an early age dating back to the day of heavens and earth creation, the vision that has a far-reaching impact on it, the message that Allah has assigned to it and a set of values related to it.

تناول البحث جانباً مهماً من جوانب العناية القرآنية المتعددة والشاملة ببلد الله الحرام (مكة المكرمة)، ألا وهو الجانب المتصل بالغاية من وجود هذه البقعة منذ عهد مبكر يعود تاريخه إلى يوم خلق السموات والأرض، والرؤية ذات الأثر البعيد لها، والرسالة التي اختصها الله بها، وجملة من القيم المتعلقة بها.

واقترضت طبيعة البحث إلى تقسّمه إلى أربعة مطالب، يحوي كل مطلب عدة فقرات وفق الحاجة، والله المسؤول أن ينفع بهذا البحث، ويجعل له القبول، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

يقول العلامة السعدي^(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]: "وفي وصفه بهذه الصفات دون إيجاب قصده ما يبعث النفوس على حجه وإن شطت بالزائرين الديار وتناعت بهم الأقطار، ثم أتبع ذلك بصريح الوجوب المؤكد بتلك التأكيدات، وهذا يدل على الاعتناء منه سبحانه لهذا البيت العظيم، والتنويه بذكره، والتعظيم لشأنه، والرفعة من قدره، ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله ﴿وَوَطَّئِرَ بَيْتِي﴾ [الحج: ٢٦]؛ لكفى بهذه الإضافة فضلاً وشرقاً، وهذه الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حياله وشوقاً إلى رؤيته، فهذه المثابة للمحبين يثوبون إليه ولا يقضون منه وطراً أبداً، كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حباً وإليه اشتياًقاً، فلا الوصال يشفيهم ولا البعاد يسليهم.. إلخ".^(٢)

قلت: وعلاوة على إضافته سبحانه هذا البيت إلى نفسه، فقد أظهر سبحانه الغاية من هذه البقعة المباركة، ووصلها بغاية خلق الإنسان، كما عني ببيان رؤيتها التي عليها مدار سعادة البشرية وصلاح أمر دينهم ومعاشهم ومعادهم، ورسالتها المرتبطة بهداية الناس وقوام أمرهم، وقيمتها التي من شأنها تعزيز السلوك نحو تبجيل وإجلال وتعظيم هذه

The nature of the research necessitated its division into four demands. Each request contains several paragraphs as needed.

تمهيد:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد عني الكتاب العزيز ببلد الله الحرام غاية العناية، ولم تحظ بلدة أخرى في تاريخ البشرية ما حظي به من تعظيم وإجلال وإظهار لسمو المكان والمكانة وشرف الغاية والرسالة، لدرجة أن الباحث يظل محتاراً من أين يبدأ وأين ينتهي، وما يختار وما يدع من أوجه هذه العناية كمًا وكيفًا، بل أحسب أن عدة أبحاث ودراسات في هذا الشأن لاتسد الحاجة، ولاتغني عن وصف الإبداع القرآني في إظهار الاهتمام بالبلد الحرام.

وقد ظهر اهتمام أهل التفسير ببيان العناية القرآنية بمكة في ثنايا تفاسيرهم، بل تفنن العلماء والمؤلفون في وصفها وتذكير الناس بها وبِعظمتها، بل أفرد الكثيرون كتباً في تاريخها ومنزلتها وما يستحب وما يكره فيها وما يتعلق بها من أحكام وآداب.

و"كأنه قيل له: وحدني في هذا البيت" (٥)
كما قال المبرد (٦)

فهنا لم تكف الآية الكريمة بالأمر بتحقيق التوحيد واجتناب الشرك، بل جعل من البيت الحرام محل انطلاق لتحقيق هذه الغاية، ثم أتبعه ببيان خطوات عملية مباشرة تمثلت في تطهير هذا البيت معنىً وحساً، وتهيئته تهيئةً كاملة للعبادة والطواف حول البيت، والصلاة، والحج.

وقد دلّ على هذا المعنى، الآية التالية وقد تضمنت الأمر الإلهي لخليله ﷺ بإعلام الناس للقدوم إلى مكة للحج: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]، والمعنى: أعلم يا إبراهيم وناد في الناس أن حجوا بيت الله الحرام، فسيأتونه مشاة على أرجلهم، وقدم المشاة تشريعاً لهم (٧)، وركبائاً على كلّ ضامر، وهي: الإبل المهازيل التي تأتي من كلّ طريق ومكان ومسلك بعيد، تلبية للنداء، وقيل: "يأتين": بالجمع لأنه أريد بكل ضامر: النوق. (٨)

ومن خلال هذا البيان لمعنى الآيتين لنا أن نتصور أن الأمر بتهيئة البيت وتطهيره سبق الأمر بإعلام الناس بفرضية الحج، وندائهم للقدوم إلى مكة لتوحيد الله وتعظيم شعائره وأداء نسكه،

البلدة في نفوس الخلق حتى يتسنى لها تحقيق غايتها ورؤيتها وأداء رسالتها السامية التي أرادها الله تعالى لها، وذلك ما أسعى لمعرفة بشيء من التفصيل من خلال المطالب التالية بإذن الله.

المطلب الأول: العناية ببيان الغاية العظمى من مكة:

الغاية لغة، هي: مدى كل شيء وقصاره (٩)، يقال: بلغ المسافر غايته إذا وصل مراده ومبتغاه الأخير، وأقصد بها هنا: قصارى ما يريده القرآن الكريم والمدى الذي ينشده من وجود بلد الله الحرام.

وباستقراء القرآن المجيد نجد أنه أفصح بوضوح عن الغاية الكبرى من وجود بيت الله الحرام، ألا وهي تحقيق التوحيد والعبودية الخالصة لله عزوجل، وقد تكرر هذا الإفصاح وبصور متعددة وبأساليب شيقة متنوعة، ففي حين يعلن القرآن في السورة المكية عن العلة الغائية من خلق الثقليين، بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] نجده يلفت النظر إليها من خلال علاقتها بمكة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، أي: بيئنا له أين يبني وأمرناه أن لا تُشرك بالله (٤)،

الحجر، فنأدى: يا أيها الناس كُتِبَ عليكم الحجّ، فأسمَع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة: لَنَيْكَ اللَّهُمَّ لَنَيْكَ^(١١)، وإذا كانت الغاية أداء واجب أو فرض فالوسائل المحققة له تأخذ حكمه.

ونجد كتاب الله يلفت الأنظار إلى الغاية العظيمة من وجود مكة بأسلوب الأمر لنبيه محمد ﷺ بإبلاغها وإعلانها واستبعاد أي ليس أو شبهة تجاهها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعِدَّ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١] قال القرطبي: "وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها، كما قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤]."

كما نجده أيضاً يخبر عن دعاء إبراهيم عليه السلام بما يعزز في نفس كل من يتلق هذا القرآن قراءة وتدبراً وعملاً أهمية هذه البقعة في المحافظة على الغاية العظيمة، كما في قوله تعالى: ﴿وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۚ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ

وحتى يصلون إلى هذا المكان المعظم الذي هو محل لتوحيد الله وتعظيمه، وهو مهياً وظاهر من كل ما يشوبه سواءً من أدران الشرك بالله أو الأوساخ الحسية التي تحُول عن كمال خشوع العابد لله ﷻ، فالقضية اختيار وتدبير من حكيم عليهم.

وإذ كنّا في مصطلحنا المعاصر نسمى التدبير الاستباقي في قضاء حاجاتنا الدنيوية بالتخطيط أو التخطيط الاستراتيجي أو التخطيط الاستباقي، فربنا المتعال لا يحتاج إلى ما نحتاجه نحن القاصرون لمثل هذا التخطيط فهو المدبر لكل شؤون الكون والخلق سبحانه عزّ شأنه، وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له "كن" فيكون، ولكن توجيهه الله باتخاذ الأسباب والوسائل المعينة على تحقيق الغايات، هو مما جرت السنة الكونية باتخاذها، ولذلك لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له: ﴿أَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ قال: رَبِّ وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي؟ قال: أَدْنُ وَعَلَيَّ الْبَلَاغُ؛ فنأدى إبراهيم: أيها الناس كُتِبَ عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فجاجوا؛ فسمعه ما بين السماء والأرض، ولذا الناس يجيئون من أقصى الأرض يُلبون.^(٩)

وروي عن مجاهد^(١٠)، عن ابن عباس، قال: "قام إبراهيم خليل الله على

رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦]

سبق، فالآيات تتحدث عن نشأة مكة وبانيها، وباستقراءها نجدتها كررت التذكير إلى قضية التوحيد بشكل ملفت للأنظار وبأساليب شتى تثير التأمل وتبعث التفكير في النفوس.

ولذا يقول مجاهد: "فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده، فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته" (١٢)، ومعنى الآية: اذكر يا محمد قول إبراهيم إذ قال (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا) أهله وسكانه (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) أي أبعدني وبني من عبادة الأصنام (١٣)، فإنهن أزلن كثيراً من الناس عن طريق الهدى وسبيل الحق حتى عبدوهن، وكفروا بك، فمن تبعني على ما أنا عليه من الإيمان بك وإخلاص العبادة لك وفراق عبادة الأوثان، فإنه مني وعلى طريقتي مستنّ بسنتي، وعامل بمثل عملي، ومن خالف أمري فلم يقبل مني ما دعوته إليه، وأشرك بك، فإنك غفور لذنوب المذنبين الخطائين بفضلك، رحيم بعبادك تغفو عن تشاء منهم (١٤). والصنم كما عرفه المفسرون هو: التمثال المصوّر، وما لم يكن صنماً فهو وثن (١٥).

فمن أسلوب الإخبار عن الأمر الإلهي بتهيئة الظروف لتحقيق غاية العبادة: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، إلى لفت النظر إلى دعاء إبراهيم ﷺ برغد العيش لمن وحد الله وآمن به واليوم الآخر: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ أَلْمَرَّتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، إلى بيان حال إبراهيم وإسماعيل وهما يؤسسان البيت الحرام، وما كانا فيه من الخشوع وملازمة الدعاء بقبول العمل (١٦)، وجعله خالصاً له سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾، إلى التماس ثبات النفس والذرية على الغاية العظمى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ أي: اجعلنا مطيعين مستسلمين منقادين لحكمك مخلصين العبادة لك وحدك (١٧)، وخص بالدعوة بعض الذرية؛ لأن الله تعالى أعلم إبراهيم أن في ذريته من لا ينال العهد، بقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] (١٨)

والشاهد مما سبق هو تأكيد ارتباط مكة الوثيق المنكر والمستديم بغاية خلق الجن والإنس، الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ولذا نلاحظ دوام التذكير بها في مواضع عدة، ولناخذ الآيات من (٢٥) إلى (٣١) من سورة البقرة مثلاً على ما

ثم انتقلت الآيات إلى الدعاء لأهل

هذه البلدة بأن يرسل إليهم رسولا يزكيهم بالتوحيد ويطهرهم من الشرك، ويخلصهم منه^(١٩)، كما قال ﷺ: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾.

ولكن فضل الله أوسع مما يؤمله العبد، فكان إرساله ﷺ ليس لأهل مكة فحسب، بل شرف البشرية جمعاء بإرساله، وإن كانت بعثته من مكة المكرمة، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا مَنْ قَالَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الْكُفْرَ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ١٠٧ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَجِدْتُ قَهْلًا أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، [١٠٨]

ومثل هذا التفضل في العطاء له نظائر في القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]، فإن الله جل شأنه لما سأله إبراهيم أن يرزق أهل مكة من

الثمرات، وخص المؤمنين بهذا الدعاء، قال الله: ومن كفر أيضاً؛ فأنا أرزق البر والفاجر وأمتعته قليلاً في الحياة الدنيوية^(٢٠)، فهنا أعطى إبراهيم أكثر مما سأل، ولاحد لفضله سبحانه.

هذا واختتمت الآيات بتسفيهه وتوبيخ طريقة اليهود والنصارى، الذين حادوا عن ملة إبراهيم وزهدوا عن الحنيفية السمحاء: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، والمعنى: "ومن يزهد عن ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة إلا من سفه نفسه"^(٢١) أي: وضعها في موضع الجهل والسفه^(٢٢).

وقد رد الله على مزاعمهم وقولهم إن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧] ثم عقب هذه الآيات بقصة إبراهيم وبنيه مع قضية التوحيد وشدة الحرص على المحافظة عليها، والواقع أن سورتي البقرة وإبراهيم أولتا ارتباط مكة بقضية التوحيد أهمية خاصة، ورغم نزول سورة البقرة بالمدينة النبوية إلا أن الحديث عن مكة وقصة نشأتها وارتباطها بتوحيد الله، كان حاضراً بجلاء في قضاياها الأساسية، وكيف لا، وهي عاصمة بقاع الدنيا كلها في احتضان هذه الغاية وإلهام العالمين بها.

المطلب الثاني: العناية ببيان رؤية مكة:

إسماعيل إليها، في بقعة جرداء لا ماء فيها ولا نبات ولا أثر لحياة، ثم ما كان من تدفق بئر زمزم بها تمهيداً لبعث الحياة بها، وإلهام فنام من الناس لقصدها، ثم ما جاء من الأمر ببناء بيت الله الحرام، ثم التوجيه بإعلام الناس بحج بيت الله الحرام، وغير ذلك من الوقائع؛ ليست سوى تهيئة لتحقيق هذه الرؤية العظيمة.

وجاء في التفسير الإشاري معنىً لطيف حول تفسير الآية، ونصه: "حكم الله سبحانه - بأن يكون بيته- اليوم ملجأ يلوذ به كل مؤمّل، ويستقيم ببركات زيارته كلّ مائل عن نهج الاستقامة، ويستنجح بابتهاله هنا لك كلّ ذي أرب". (٢٨)

وفي هذا البيان إلماح إلى الرؤية التي أتحدث عنها وهو أن صلاح أمر الناس في معاشهم ومعادهم مرتبط بمكة المشرفة وبيت الله الحرام، ولذا جاء من معاني (قيامًا للناس): عصمة لهم (٢٩)، وصلاحًا لأمر دينهم وديانهم، ونهوضًا إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم، ولما يتحقق لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم، وغيرها من صنوف المنافع. (٣٠)

وقُرى (قيماً) بغير ألف، ومعناه المبالغة في كونه قائماً بإصلاح مهمات

الرؤية لغة هي المشاهدة بالبصر (٢٣)، وتأتي بمعنى العلم ولكنها تتعدى إلى مفعولين، يقال: رأيت زيداً عالمًا (٢٤)، واستخدم العلم الحديث مصطلح الرؤية للتعبير عن رؤية الأمور بصورة منطقية سليمة بما يضمن تحقيق الحلم الذي يراد الوصول إليه على المدى البعيد، وبالنسبة لمكة المكرمة فأقصد بالرؤية الصورة المستقبلية الواضحة التي أريدت لهذه البقعة، والأهداف البعيدة لها المتمثلة في إسعاد البشرية بصلاح أمر دينهم ومعاشهم ومعادهم.

وقد استهلّت سورة المائدة - وهي مدينة بالإجماع (٢٥) - بأحكام تتعلق بصيد من دخل في الإحرام للحج والعمرة أو أحدهما، وتعظيم حرمة البيت وقاصديه (٢٦)، ثم استأنفت الحديث عن ذات الأحكام بصورة أشمل عند الآية (٩٤) وحتى الآية: (٩٧) والتي نصت في صدرها على الرؤية التي أرادها الله أن تكون لمكة المشرفة، وذلك في قوله سبحانه: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾.

ولا شك أن جملة الوقائع التي حدثت لمكة، من تحريم هذه البلدة منذ القدم قبل خلق السموات والأرض، ثم توجيه خليل الله إبراهيم لإسكان زوجه هاجر وابنهما

الصلاة التي هي أداة الصلة بين العبد وربّه، بل هي سبيل النجاح والنجاة والسعادة في الدارين، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]

٤. هو قبلة الناس في صلاتهم، وسبيل وحدتهم واجتماع كلمتهم: ﴿قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ٤٤]

٥. هو مكان حجهم وقضاء مناسكهم: ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَكِيمٌ غَبِيٌّ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ف"الحج له أهداف عظيمة ومقاصد متنوعة وفيه منافع عاجلة وأجلّة، منافع في الدنيا والآخرة، من صلاة وصوم وزكاة وحج وغير ذلك... من صلاح القلوب، واستقامة الأحوال والرزق الطيب، وراحة الضمير، إلى غير ذلك، مع ما في ذلك من العاقبة الحميدة، والفوز الكبير بدار النعيم، مع النظر إلى وجهه جل وعلا، والفوز برضاه". (٣٢)

٦. فيه تعظم شعائر الله وحرماته، وفي التنزيل: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَاتِ اللَّهِ

الناس، كقوله تعالى: ﴿بَدِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ١٦١] وقرأ جمهور القراء بإثبات الألف. (٣١)

وكيف لا يكون هذا البيت المعظم موطن صلاح أمر الناس في معاشهم ومعادهم، وسبب قوام حياتهم ومحياتهم ومماتهم ومستقبلهم في دنياهم وأخراهم، وله من المزايا الكبيرة التي تؤهله لهذه الرؤية العظيمة، وإليك بعضاً منها:

١. منه بعث رسولهم ﷺ إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، ولاشك أن بعثته رحمة للعالمين، وسعادة للمؤمنين به: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

٢. فيه نزل كتاب ربهم ودستور حياتهم ومعاشهم ومعادهم، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢]، ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]

٣. ومنه أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به إلى السموات السبع، ثم عاد إليه، وقد فرضت

فهي الرؤية التي أريدت لمكة المشرفة.

ولذا فإن جميع الوسائل المؤدية على تحقيق هذه الرؤية ظاهرة في أدعية الخليل لمكة المشرفة، ولنأخذ على ذلك مثلاً من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٦ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٣٨ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ٣٩ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ٤٠ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٤١]

فقد تضمنت الآيات الكريمة دعاء إبراهيم وهو في غاية الخشوع والذل لله أن يجعل مكة آمنة لما لها من أهمية في صلاح أمر الناس، وأن يبعده هو وذريته عن الشرك بالله، ويجعلهم في منأى عنه، لأنها أدوات ضلالة، ثم أبان عن هدف إسكانه ذريته بهذا الحرام، وهو أن

فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، قال مجاهد: "الحُرْمَةُ: مكة والحجَّ والعُمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها"، وقال ابن زيد: "الحرَمَات: المَشْعَرُ الحرام، والبيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، هؤلاء الحرَمَات" (٣٣) وفي التنزيل أيضاً: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبَرٌ أَلَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، قال الطبري (٣٤) في تفسيرها: "إن الله تعالى ذكره أخبر أن تعظيم شعائره، وهي ما جعله أعلاماً لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم؛ من تقوى قلوبهم، لم يخص من ذلك شيئاً، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب" (٣٥)

٧. فيه يطلب الفضل من الله باتخاذ أسباب المعيشة والتجارة والاقتصاد، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]

وكل ما سبق من مزايا البلد الأمين، هو من وسائل صلاح أمر الناس، ومن أسباب سعادتهم واستقامة معاشهم في الدنيا، وظهرهم برضوان الله وجنة عرضها السموات والأرض في الآخرة،

رجائي". (٤٠)

ثم ختم بالدعاء لنفسه ولذريته، قائلاً:
 ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي
 رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ٤٠ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي
 وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يُنْفَخُ الْحِسَابُ﴾؛
 "فاستجاب الله له في ذلك كله إلا أن
 دعاءه لأبيه إنما كان عن موعده وعده
 إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ
 منه". (٤١)

فانظر - رعاك الله - إلى وسائل
 تحقيق رؤية مكة التي طمح إليها الخليل،
 ودعا الله لنفسه وذريته أن يحققها لهم،
 وأن يجعل من مكة بلدًا آمنًا، يأمن فيه
 أهله، وأن يجنبهم الشرك بالله، وأن
 يجعلهم مقيمي الصلاة، وأن يجعلهم في
 مأمن من الخوف الجوع في بلد الله
 الحرام، بل يجعلهم في رغد من العيش،
 وأن يصرف جمعًا من الناس لمجاورتهم
 في الديار حتى يأنسوا بهم وغير ذلك مما
 فيه صلاح المعاش والمعاد.

**المطلب الثالث: العناية ببيان رسالة
 مكة:**

جاء في المعجم الوسيط: "(الرسالة)
 مَا يُرْسَل، وَالْخَطَاب، وَكُتَاب يَشْتَمَل عَلَى
 قَلِيلٍ مِنَ الْمَسَائِلِ تَكُون فِي مَوْضُوعٍ
 وَاحِدٍ، وَبَحْثٌ مَبْتَكِرٌ يَقْدَمُهُ الطَّالِبُ
 الْجَامِعِيُّ لِنَيْلِ شَهَادَةِ عَالِيَةٍ، وَرِسَالَةٌ

يكونوا موحدين لله مقيمي الصلاة على
 وجهها الصحيح، لأن إقامة الصلاة من
 أخص وأفضل العبادات الدينية فمن
 أقامها كان مقيمًا لدينه (٣٦)، داعيًا لذريته
 أن يصرف قلوب فئام من الناس إلى هذه
 البلدة، وأن يرزقهم جميعًا ويغدق عليهم
 من الثمرات؛ فأجاب الله دعاءه، فصار
 يجبي إليها ثمرات كل شيء، فإنك ترى
 مكة المشرفة كل وقت والثمار فيها
 متوفرة والأرزاق تتوالى إليها من كل
 جانب. (٣٧)

ثم عقب ذلك بالثناء على الله وذكر
 أفضاله: "أنت أعلم بنا منا، فنسألك من
 تدبيرك وتربيتك لنا أن تيسر لنا من
 الأمور التي نعلمها والتي لا نعلمها ما هو
 مقتضى علمك ورحمتك، ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾
 ومن ذلك هذا الدعاء الذي لم يقصد به
 الخليل إلا الخير وكثرة الشكر لله رب
 العالمين" (٣٨)، وأتم عبارات الحمد
 بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ
 إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾، إذ الأولاد من أكبر
 النعم، وكونهم أتوا على الكبر في حال
 الإياس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم
 أنبياء صالحين أجل وأفضل (٣٩)، وكل ما
 رزق به الخليل هو نتاج إجابة الدعوات
 التي كان يرفعها بإخلاص وثقة بربه،
 ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي: "القريب
 الإجابة ممن دعاه وقد دعوته فلم يخيب

الرَّسُول: مَا أَمَرَ بِتَبْلِيغِهِ عَنِ اللَّهِ وَدَعْوَتِهِ النَّاسَ إِلَى مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ وَرِسَالَةَ الْمَصْلَحِ مَا يَتَوَخَّاهُ مِنْ وُجُوهِ الْإِصْلَاحِ" (٤٢)،

وأقصد برسالة مكة، السمة العالمية التي اختصت بها مكة لهداية البشرية إلى صراط الله المستقيم، وهي الميزة التي ذكرها في كتابه في مواضع كثيرة، منها:

٢. قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]

١. قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰبِدِينَ ۝١٠٦ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦، ١٠٧] أي: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على الرسول ﷺ لبلاغًا لمن عبد الله بما فيه من الفرائض التي فرضها الله إلى رضوانه. (٤٣)

والمعنى: وكما أوحينا إلى من قبلك من رسلنا، أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن وحيًا ورحمة من أمرنا (٤٦)، وسمي القرآن روحًا لأن فيه حياة للقلوب والنفوس (٤٧)، وما كنت - يا محمد - تعرف قبل أن يوحى إليك، شيئًا عن القرآن، ولا عن شرائع الإيمان ومعالمه (٤٨)، ولكن جعلنا القرآن، نورًا وضياء، ودليلاً على التوحيد والإيمان، ﴿نَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: نرشد به إلى الدين الحق، وإنك لتهدي - يا محمد - وتدعو إلى الإسلام.

ثم وجه الخطاب للرسول ﷺ بأن إرساله لم يكن لغرض آخر سوى أن الله رحم به العالمين، فهو ﷺ الرحمة المهداة، وهذا تشريف عظيم للرسول ﷺ، وكيف لا، وقد "جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة". (٤٤)

ومعلوم أن هداية الرسول: هداية دعوة ودلالة وبيان وإرشاد، لا هداية توفيق وإلهام (٤٩)، ونحو ما سبق قوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠] أي: هذا القرآن والوحي الذي أتوه عليكم بصائر من ربكم، وحجج عليكم، وبيان لكم من الله (٥٠) ومنه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾ [الإسراء:

وقال أهل التفسير: إن الرسول ﷺ رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سُدَّ، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق

ويرعوي المتشكك". (٥٥)

ولنا أن نتأمل المواضع السابقة من كتاب الله، وغيرها مما جاء في تقرير المضمون المشار إليه من بيان رسالة مكة، وكيف تم تبينها بصورة مترابطة بما يحقق تكامل الأدوار في تعزيز هذه الرسالة المتمثلة في الهداية والعالمية، فهي رسالة الله لهداية العالمين إلى صراطه المستقيم، والتي يشترك في أدائها:

١. الرسول ﷺ مبلغاً، فهو ﷺ يهدي إلى صراط الله المستقيم، بما أرسله الله به، وببذل الدعوة إلى الله، وتبليغ الرسالة، وإرشاد العالمين إلى الإسلام، وهدايته هداية دلالة وإرشاد ودعوة وتوجيه.

٢. القرآن الكريم دستوراً، فهو يهدي ويرشد إلى سبيل الحق بما تضمنه من علم وهدى وبصيرة ونور وشفاء للقلوب، وفي اتباعه البلاغ والكفاية والهداية والنجاة.

٣. بيت الله الحرام بمكة منطلقاً ومرجعاً مكانياً، وقد وصفه الله بأنه هدى، وأن فيه قوام أمر الناس وصلاح معاشهم ومعادهم، ذلك بأن هذه البقعة هي مبعث الرسول ﷺ ومهبط الوحي ومكان نزول القرآن أول مرة.

٩] والمعنى: إن هذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضل عنها سائر أهل الملل المكذبين به، ويرشد إلى أقوم السبل، وهو دين الإسلام. (٥١)

٣. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾، وتعتبر هذه الآية أحد أبرز الشواهد التاريخية في القرآن الكريم على قدم الكعبة المشرفة، إذ جعلها الله أول مكان للعبادة وضع للناس منذ بدء التاريخ وقد جاءت السنة المطهرة أيضاً بتأكيد هذا الأمر؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ). قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: (ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى) قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: (أَرْبَعُونَ)، ثُمَّ قَالَ: (حِينَئِذَا أَدْرَكْتَنكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ، وَالْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ). (٥٢)

ومعنى الآية: إن أول بيت وضعه الله للناس لعبادته وتوحيده، هو الذي ببكة، وقد جعله الله مباركاً ومآباً لنسك الناسكين وطواف الطائفين، تعظيماً لله وإجلالاً له. (٥٣)

قال ابن عاشور (٥٤): "وجعل هدى للعالمين كلهم: لأن شهرته وتسامع الناس به، يحملهم على التساؤل عن سبب وضعه، وأنه لتوحيد الله، وتطهير النفوس من خبث الشرك فيهددي بذلك المهتدي،

(قيماً)، ونقل ابن الجوزي^(٦١) توجيه قراءة (قيماً) بأحد أمرين: أحدهما أن يكون جعله مصدراً، كالشبع. والآخر: حذف الألف وهو يريد بها، كما يُقصر الممدود^(٦٢)، قال الزجاج في معنى الآية: "أي مما أمروا به أن يقوموا بالفرض فيه"^(٦٣)، فتبين مما سبق أن معنى القيمة شرعاً يدور حول الاستقامة على الدين ولزوم الفطرة الصحيحة وعدم الميل عنها.

وقد عُني كتاب الله عز وجل بتقديم مكة إلى هذه الأمة وإلى البشرية جمعاء بكل القيم الفاضلة التي تحتاجها أي مدينة أو بلدة لاستقامة حياة الناس بها، ولا غرو في ذلك فهي أم القرى، وهي قنوة بلاد العالم في كل قيمة نبيلة.

وبالتأمل في أسماء مكة وصفاتها نجدها تحوي العديد من هذه القيم، كما أن هناك تداخلاً بين هذه القيم والخصائص الكثيرة التي اختصت بها مكة دون سائر بلاد العالم، فكل خصيصة منها تعد قيمة إضافية لبلد الله الحرام.

ولذا اقتصر على إيضاح القيمتين المشار إليهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾، فيما يلي:

فالآيات تضمنت تصريحاً وبيانياً كافياً بأن رسول الله ﷺ وكتاب الله (القرآن)، وبيت الله الحرام، من مصادر الهداية للعالمين.

المطلب الرابع: العناية بقيم مكة:

القيم جمع قيمة، وأصلها من مادة (ق وم)، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، و (سمي الثمن قيمة) لأنه يقوم مقام الشيء، وعرفت القيمة بأنها: "الفضائل الدِّينِيَّةِ والخُلُقِيَّةِ والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني"^(٥٦)، وفي التنزيل: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۚ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ [البينة: ٣] أي يقرأ صحفاً مطهرة من الباطل، وفيها كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ^(٥٧)، قال الزجاج^(٥٨) في تفسير الآية: "أي كتب غير ذات عوج مستقيمة تُبَيِّنُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ عَلَى الْإِسْتِوَاءِ وَالْبِرْهَانِ"^(٥٩).

ووصف الله دينه بالقيَم في عدة مواضع من القرآن، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ.. إلخ الحديث"، ثم يقول اقرؤا: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَرِيمُ﴾ [الروم: ٣٠]^(٦٠)، كما وصف بيته بأنه قيام للناس في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَبُوتَىٰ أَحْرَامًا قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] وقرئت

أولاً: البركة:

تكلم عن أسرار بركتها جموع الأخيار
قبلي فلم يوفوا حقها وقدرها، فكيف بقليل
بضاعة مثلي؟!

ولم تأت هذه الجموع من أقاصي
الأرض إلا لطلب الفضل والبركة
ومضاعفة أجر الصلوات وحثّ الذنوب
عن أنفسهم بأداء العمرة والحج، والتبرك
والاستشفاء بماء زمزم.

وذكر أهل التفسير: أن بركة البيت
الحرام، تشمل ما يستحقه قاصده من
ثواب عظيم، والأمن المتحقق لمن دخله
من إنس وحيوان^(٦٧) وحتى الوحش تأمن
فيه، فيجتمع فيه الطيبي والذئب^(٦٨).

واختلفوا في بركته، فقيل: في ثواب
الأعمال. وقيل: في ثواب القاصد إليه.
وقيل: في أمن الوحش فيه. وقيل: في
عزوف النفس عن الدنيا عند رؤيته.
والصحيح أنه مبارك من كل وجه من
وجوه الدنيا والآخرة، وكل ذلك موجود
في وذكر الرازي^(٧٠) أن بركة مكة
تتمثل:

أ. في زيادة الأجور على الطاعات،
لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، في فضل
الصلاة بالمسجد الحرام، عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ
مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ)^(٧١)،

وهي ثبوت الخير ونموه
واستمراره^(٦٤)، أو: هي اسم كل خير
ينمو ويزاد بلا اكتساب^(٦٥)، ولا شك أن
بركة مكة لجميع العالمين^(٦٦).

وكيف لا وهي سيدة البلاد، بها
تسكب عبرات الخشية لله، وفيها تغفر
الزلات، وتكفر السيئات، وتزاد
الحسنات، وتضاعف الصلوات، وتنال
الأعطيات، وإليها تجبى الثمرات، وبها
تحرم الضاللات؟! فهي موطن الأمن
والأمان والسكينة والإيمان، ليس للإنسان
فقط، بل للشجر والدواب أيضاً.

ولذا حنّ إليها قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم،
واشتاقت إليها أفئدة الأنبياء والعباد
وأصحاب النبي والزهاد والصالحين، بل
تعلقت بها نفوس المسلمين أجمعين، ومن
في الورى ينكر بركتها وفيض خيرها
ووفور فضلها، والرحمن من سماوته
أشاد بها وأكد بركتها: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ
وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ).

وهل في الأرض بقعة أخرى نالتها
دعوات الأنبياء والصالحين مثلما نالت
مكة، فعن أي بركة لمكة أتحدث، وعن
أي خير لها أخبر، وعن أي سعادة
وفضل ونماء وحسن نوال أحكي، فقد

دوام بركتها حاصلًا من هذه الجهة، وأيضًا من جهة خلود الكعبة على هذه الحالة من ارتياد الناس لها أو اتجاههم إليها أوفًا من الأعوام، فهي مباركة في كل الأحوال. (٧٥)

قلت: ولو لم يكن من بركتها إلا إضافتها إلى الله ﷻ ونسبتها إليه لكفاها ذلك بركة في كل شيء، علاوة على اختصاصها بوجود بيت الله الحرام، ومشاعر الحج، والماء المبارك (ماء زمزم) (٧٦)، ومقام إبراهيم وما ذكره الله من الآيات البينات التي سبق الحديث عنها، وغير ذلك، والله أعلم.

ثانيًا: الهداية:

قيمة الهداية من أجلّ القيم، بل هي غاية جميع الأنبياء - عليهم السلام - وهي رؤية البلد الحرام، وما بعثت الرسل، وأنزلت الكتب، وشرعت الشرائع إلا لتحقيقها، فهي تجتمع فيها سمة الغاية والرؤية والقيمة، فمن حيث أنها سبيل لإخلاص العبادة لله واجتناب الشرك فهي غاية، بل لبُّ دعوة رسل الله ومرادهم وغايتهم، كما أخبر بذلك جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وهي من هذه الجهة سبيل الأمن في الدنيا والآخرة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ

وعنه ﷺ في فضل الحج، عن النبي ﷺ، قال: (مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) (٧٢) وعنه ﷺ أيضًا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ) (٧٣)، ومعلوم أنه لا أكثر بركة مما يجلب المغفرة والرحمة. (٧٤)

ب. في بركة أرزاقها وثمراتها وما يجبي إليها من خيرات.

ج. فيما يحصل للمصلين من الانشراح عند التوجه إلى الكعبة، لأنهم في مقام شريف عند بيته المعظم.

د. في استدامة العبادات والطاعات بها، فهي لا تنفك من الطائفين والعاكفين والركع السجود، واستمرار التوجه إليها في الصلوات، لاسيما وأن الأرض كروية، فتكون كل الأوقات مشغولة باتجاه الناس إليها لأن مواقيت الصلوات تتفاوت من مكان إلى آخر في الأرض، فقد يكون هنا صبح، يكون عند قوم آخرين ظهر أو عصر أو مغرب أو عشاء، فلا تنفك قط عن توجه قوم إليها من طرف من أطراف العالم لأداء أحد الفروض، فكان

واستقامتها قولاً وفعلاً قيمة إضافية للمسلم في حياته ونجاته بعد مماته حين يلقي ربه، فلا يستوي المهندي وغيره، كما قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۗ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

ويقدر هداية الإنسان بزيادة إيمانه وتحدد مكانته عند ربه، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] وقال ابن عباس: "لما أنزل الله القرآن آمنوا به، فكان هدى، فلما تبين الناسخ والمنسوخ زادهم هدى"، وفي التنزيل: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١] وفيه: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] فالهداية والصلاح والمسارة إلى الطاعات سبب لزيادة الإيمان، ومن ثمرات ذلك تحقق الأمن التام: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]

وقال عمر بن عبد العزيز: "إن للإيمان فرائض، وشرائع، وحدوداً، وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص".^(٨٠)

وقال ابن القيم^(٨١): "بحسب متابعة

بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] ولما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾) [لقمان: ١٣] (٧٧)

أما من حيث كونها الهدف الأسمى الذي ينشده الأنبياء والمصلحون من إصلاح الناس وهدايتهم وبناء حياتهم على شرع الله فهي رؤية، وفي التنزيل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۗ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمُنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ ۗ مَنْ نَّشَاءُ ۗ مَنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]

وأما من حيث اهتداء الإنسان، وصلاحه في نفسه فهي قيمة، ولذا يطلبها المسلم في كل ركعة من صلاته: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، بل هو أمر الله لنبيه ﷺ ومن معه من المسلمين، كما قال سبحانه: ﴿فَاسْتَقَمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، ولذا لما سأل سفيان بن عبد الله الثقفي^(٧٨): يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: (قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمَّ).^(٧٩)

وما ذلك إلا لأن هداية النفس

عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اِهْدِنِي لِمَا
اِحْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي
مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). (٨٤)

ولهذا أيضاً شرع دعاء العاطس لمن
يشمته بالهداية، لحديث أبي أيوب، عن
النبي ﷺ قال: (إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلْيَقُلْ الَّذِي
يُسَمِّيهِ: يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ، وَلْيَقُلْ الَّذِي يَرُدُّ
عَلَيْهِ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصَلِّحُ بِالْكُمِّ) (٨٥)،
وقال الحسن بن علي: علمني رسول الله
ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر: (اللَّهُمَّ
اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ،
وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا
أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ
تَفْضِي وَلَا يُفْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَدُلُّ مَنْ
وَالَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ). (٨٦)

أما من جهة تأثير الهداية على
الإنسان، فهي نوعان أيضاً:

أ. هداية توفيق وإلهام، ولا يملكها إلا
الله تعالى، كما قال جل شأنه:
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ
اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

ب. هداية دلالة وإرشاد وبيان، وهذه
ثابتة للنبي ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة،
كما أن بحسب متابعتها تكون الهداية
والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علّق سعادة
الدارين بمتابعتها، وجعل شقاوة الدارين
في مخالفتها، فلأتباعه الهدى والأمن
والفلاح والعزة والكفاية والنصرة
والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا
والآخرة، ولمخالفه الذلة والصغار
والخوف والضلال والخذلان والشقاء في
الدنيا والآخرة". (٨٢)

وذكر ابن رجب الحنبلي (٨٣) أن
الهداية من جهة الإجمال والتفصيل
نوعان:

أ. هداية مجملة وهي الهداية
للإسلام والإيمان وهي حاصلة
للمؤمن.

ب. هداية مفصلة، وهي هداية إلى
معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان
والإسلام وإعانتة على فعل ذلك،
وهذا يحتاج إليه كل مؤمن ليلاً
ونهاراً.

ولهذا أمر الله عباده بطلب الهداية في
كل ركعة من صلاتهم، وكان النبي ﷺ
يفتتح صلاته باللّيل طالباً الهداية من ربه:
(اللَّهُمَّ رَبِّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ،
وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،
عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ

بتقديم مكة إلى هذه الأمة بكل القيم الفاضلة التي تحتاجها أي مدينة أو بلدة لاستقامة حياة الناس بها، ولا غرو في ذلك فهي أم القرى، وهي قدوة بلاد العالم في كل قيمة نبيلة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(١) الشيخ العلامة المفسر الفقيه أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم، نشأ يتيم الوالدين، حفظ القرآن، واجتهد في طلب العلم، وتصدر للتدريس وهو ابن ثلاث وعشرين عاماً، واستفاد كثيراً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، له كتاب: "تيسير الكريم المنان" في التفسير، في (٨) مجلدات أكمله في عام ١٣٤٤هـ ولم يطبع، وله: (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) وهو مطبوع ومشهور، وله مؤلفات أخرى نافعة، وتتلذذ على يديه من صار من الأعلام في الفقه والفتيا في زمننا المعاصر، توفي سنة (١٣٧٦هـ)، رحمه الله. انظر ترجمته في موقع صيد الفوائد، رابط الاستعادة:

<http://www.saaid.net/Warath>

والله المسؤول أن يلهمنا رشدنا، وأن يثبتنا على صراطه المستقيم حتى نلقاه.

خاتمة البحث:

في ختام هذا البحث المتواضع والقصير، نستطيع أن نصل إلى عدة نتائج مهمة منها:

١. أن القرآن الكريم أفصح بصورة متكررة وبوضوح تام عن الغاية الكبرى من وجود بيت الله الحرام، ألا وهي تحقيق التوحيد والعبودية الخالصة لله عزوجل.

٢. أن الرؤية الخاصة بمكة في كتاب الله، تتمثل في الصورة المستقبلية الواضحة التي أريدت لهذه البقعة، والأهداف البعيدة لها المتمثلة في إسعاد البشرية بصلاح أمر دينهم ومعاشهم ومعادهم، وقد تم تهيئة عدد من الظروف لتحقيق هذه الرؤية العظيمة.

٣. أن الرسالة الخاصة بمكة في كتاب الله، تتمثل في السمة العالمية التي اختصت بها مكة لهداية البشرية إلى صراط الله المستقيم.

٤. أن كتاب الله - عز وجل - عني

ah/1/sadi.htm

وطرف. توفي سنة: (٢٨٦هـ) رحمه الله.
(سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن
عثمان بن قَائِمَاز الذهبي، تحقيق:
مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ
شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة
الرسالة، ط٣/١٤٠٥هـ)، ٥٧٦/١٣).

(٧) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) أو
(تفسير الرازي)، محمد بن عمر بن
الحسن بن الحسين التيمي الرازي،
(بيروت: دار إحياء التراث العربي،
ط٣/١٤٢٠هـ)، ٢٢٠/٢٣.

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير
الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن
كثير الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق:
أحمد محمد شاكر (من الفاتحة وحتى
الآية ٢٧ من سورة إبراهيم)، مكة
المكرمة: دار التربية والتراث،
١٤٢٠هـ)، ٦٠٥/١٨.

(٩) المرجع السابق، (رواه بسنده عن
ابن عباس رضي الله عنهما)

(١٠) مجاهد بن جبر، تابعي مفسر وفقه
من أهل مكة، وكنيته: أبو الحجاج مولى
قيس بن السائب المخزومي. وكان يقول:
عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين
عرضة. قال يحيى بن سعيد القطان: مات
مجاهد سنة أربع ومائة. وكان فقيهاً عالمًا
ثقة كثير الحديث، رحمه الله. (الطبقات

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير
كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد
الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي،
تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح،
(بيروت: مؤسسة الرسالة،
ط١/١٤٢٠هـ)، ص١٣٨.

(٣) كتاب العين، الخليل بن أحمد بن
عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د
مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،
(دار ومكتبة الهلال، ط٠)، ٤٥٧/٤.

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
(التفسير الوجيز)، علي بن أحمد بن
محمد بن علي الواحدي، النيسابوري،
تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق،
بيروت: دار القلم ، الدار الشامية،
ط١/١٤١٥هـ)، ص٧٣٢.

(٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد،
علي بن أحمد بن محمد بن علي
الواحدي، تحقيق وتعليق: عادل عبد
الموجود وآخرون، (بيروت: دار الكتب
العلمية، ط١/١٤١٥هـ)، ٢٦٦/٣.

(٦) إمام النحو، أبو العباس، محمد بن
يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري،
النحوي الأخبأرى، صاحب "الكامل"،
وكان إمامًا، علامة، جميلًا، وسيماً،
فصيحًا، مفوهًا، موثقًا، صاحب نواذر

- (١٨) المرجع السابق، ٣/٣٢١.
- (١٩) المرجع السابق، ٣/٣٢٦.
- (٢٠) انظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط ١/١٩١٤هـ)، ١/٣٠٤.
- (٢١) تفسير الطبري، ٣/٨٩.
- (٢٢) التفسير الوسيط للواحد، ١/٢١٤.
- (٢٣) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: جماعة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١/١٤٠٣هـ)، ص ١٠٩.
- (٢٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط ٤/١٤٠٧هـ)، ٦/٢٣٤٧.
- (٢٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب
- الكبرى "طبقات ابن سعد"، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١/١٤١٠هـ)، ٦/٢٠.
- (الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي، (الهند: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ط ١/١٣٩٣هـ)، ٥/٤١٩).
- (١١) المرجع السابق، ١٨/٦٠٦.
- (١٢) المرجع السابق، ١٧/١٧.
- (١٣) المرجع السابق.
- (١٤) المرجع السابق.
- (١٥) المرجع السابق.
- (١٦) تفسير القرآن العظيم (تفسير أبي حاتم)، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (مكة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ٣/١٤١٩هـ)، ١/٢٣٢.
- (١٧) التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق: عدد من طلاب الدراسات العليا، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١/١٤٣٠هـ)، ٣/٣١٧.

وَذَكَاءَ، وَكَثْرَةَ تَصَانِيفٍ، قَلَّ أَنْ تَرَى
الْغُيُوثُ مِثْلَهُ"، وألف جامع البيان في
تأويل القرآن المعروف: (بتفسير الطبري)
وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار،
وذيل المذيل، وبسيط القول في أحكام
شرائع الإسلام، وكتاب القراءات،
وصريح السنة، وغيرها، توفي ودفن
ببغداد سنة (٣١٠هـ) رحمه الله. (سير
أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان
بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من
المحققين بإشراف الشيخ شعيب
الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة،
ط٣/١٤٠٥هـ)، (٢٧٦/١٤)، (الأعلام،
خير الدين بن محمود بن محمد بن علي
بن فارس، الزركلي دمشقي، بيروت:
دار العلم للملايين، ط١٥/٢٠٠٢م)،
(٦٩/٦).

(٣٤) المرجع السابق، ٦٢٢/١٨.

(٣٥) تفسير السعدي، ص٤٢٧.

(٣٦) المرجع السابق.

(٣٧) المرجع السابق.

(٣٨) المرجع السابق.

(٣٩) المرجع السابق.

(٤٠) المرجع السابق.

(٤١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة

العلمية، ط١/ ١٤٢٢هـ)، (١٤٣/٢).

(٢٦) انظر: تفسير الرازي، ٢٨٢/١١.

(٢٧) لطائف الإشارات (تفسير
القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد
الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم
البيسوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ط٣/٠)، (٤٤٩/١).

(٢٨) التفسير البسيط، ٥٣٨/٧.

(٢٩) الكشف عن حقائق غوامض
التنزيل (تفسير الزمخشري)، محمود بن
عمرو بن أحمد، أبو القاسم جار الله
الزمخشري، (بيروت: دار الكتاب
العربي، ط٣/ ١٤٠٧هـ)، (٦٨١/١).

(٣٠) تفسير الرازي، ٤٣٩/١٢.

(٣١) أهداف الحج ومقاصده، (موقع
الشيخ عبد العزيز بن باز)، رابط
الاستعادة:

<https://cutt.us/vzRYD>

(٣٢) تفسير الطبري، ٦١٧/١٨.

(٣٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير
أبو جعفر الطبري، الإمام المجتهد
المعروف، شيخ المفسرين، من أهل أمل
طبرستان، قال عنه الذهبي: "وَلَقِيَ نُبَلَاءَ
الرِّجَالِ، وَكَانَ مِنْ أَفْرَادِ الدَّهْرِ عِلْمَاءَ،

(٥٣) العلامة المفسر محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، نشأ في أسرة علمية عريقة، برز في علوم الشريعة واللغة والأدب والبيان، تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس، والقضاء، والإفتاء، وتم تعيينه شيخاً لجامع الزيتونة بتونس، له مصنفات نافعة كثيرة، ومن أهمها: تفسيره المشهور بـ"التحرير والتنوير"، توفي - رحمه الله - في تونس سنة (١٣٩٤هـ)، عن عمر يناهز الـ (٩٨) عاماً. (مقال بعنوان: نبذة عن حياة الشيخ الطاهر ابن عاشور وعقيدته ومنهجه في التفسير، منشور في موقع الإسلام سؤال وجواب)، رابط الاستعادة:

<https://cutt.us/W8Rbt>

(٥٤) التحرير والتنوير، ١٦/٤.

(٥٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (بيروت: عالم الكتب، ط١/١٤٢٩هـ)، ٣/١٨٧٨.

(٥٦) تفسير الطبري، ٥٤٠/٢٤.

(٥٧) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، عالم العربية والنحو المشهور، وكان نديماً للخليفة المكتفي، من مؤلفاته: معاني القرآن وإعرابه، والاشتقاق، توفي في بغداد سنة (٣١٦هـ) رحمه الله. (طبقات النحويين واللغويين،

العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، (دار الدعوة، ط٠)، ص٣٤٤.

(٤٢) تفسير الطبري، ٥٥٠/١٨.

(٤٣) تفسير ابن جزي، ٣١/٢.

(٤٤) تفسير القرطبي، ٣٥٠/١١.

(٤٥) تفسير الطبري، ٥٥٩/٢١.

(٤٦) التفسير البسيط، ٤٦٣/١٣.

(٤٧) التفسير الوسيط للواحد، ٦١/٤.

(٤٨) المرجع السابق، ٦٢/٤.

(٤٩) تفسير الطبري، ٣٤٣/١٣.

(٥٠) المرجع السابق، ٥١٠/١٤.

(٥١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١/١٤٢٢هـ)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾، ١٦٢/٤، برقم: (٣٤٢٥). صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٣٧٠/١، برقم: (٥٢٠).

(٥٢) تفسير الطبري، ١٩/٦، ٢٢.

(٦٢) معاني القرآن للزجاج، ٢/٢١٠.

(٦٣) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١/١٤١٥هـ)، ٢٦/٢.

(٦٤) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١/١٤٢٦هـ)، ٣٢٤/٨.

(٦٥) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (دار الفكر العربي، ط٠)، ٤٨٩٣/٩.

(٦٦) النكت والعيون (تفسير الماوردي)، علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٠)، ٤١١/١.

(٦٧) الأحكام السلطانية، علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، (القاهرة: دار الحديث)، ص٢٤٢.

(٦٨) ١٢. أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، مراجعة وتخريج: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية،

محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، ط٢)، ص١١١.

(٥٨) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط١/١٤٠٨هـ)، ٣٥٠/٥.

(٥٩) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، كتاب القدر، باب معنى "كل مولود يولد على الفطرة"، ٢٠٤٧/٤، برقم: (٢٦٥٨).

(٦٠) عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري، أبو الفرج ابن الجوزي، الإمام الحافظ المؤرخ الواعظ الكبير، صاحب «المنتظم في تاريخ الأمم»، و «زاد المسير في علم التفسير»، و «أخبار الأذكيا»، وغيرها من المصنفات النافعة، وكان من أحسن الناس كلامًا وأتمهم نظامًا، وأعذبهم لسانًا، تجاوزت مؤلفاته (٤٠٠) مؤلف، توفي عام ٥٩٧هـ، ودفن في بغداد إلى جوار قبر الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله. (شذرات الذهب، ١/٤٧-٤٨).

(٦١) زاد المسير، ٥٨٨/١.

ط٣/٤٢٤هـ، ٣٧١/١.

٩٨٣/٢، برقم: (١٣٤٩).

(٧٤) تفسير الرازي، ٣٠١/٨.

(٧٥) المرجع السابق.

(٧٦) وفي فضل زمزم قال ﷺ «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامٌ طُعِمَ» أخرجه مسلم، ١٩١٩/٤، برقم: (٢٤٧٣)

(٧٧) صحيح البخاري، كتاب استنابة المرتدين، باب ماجاء في المتأولين، ١٨/٩، برقم: (٦٩٣٧). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، ١١٤/١، برقم: (١٢٤).

(٧٨) سفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة بن الحارث بن مالك بن حطيظ بن جشم الثقفي، صحابي، كان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ، ولاء عمر بن الخطاب على صدقات الطائف وقيل: أنه قد ولي الطائف، روى خمسة أحاديث. (الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١/١٠٤١٠هـ، ٥٢/٦)، (أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، بيروت: دار خضر، ط١/٤١٤هـ، ١٥٩/٣، برقم:

(٦٩) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب) في التفسير، وغيره من المصنفات الكثيرة، وتوفي في هراة سنة (٦٠٦هـ) رحمه الله. (الأعلام، ٣١٣/٦).

(٧٠) صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ٦٠/٢، برقم: (١١٩٠).

(٧١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ٢ / ١٣٣، برقم: (١٥٢١)، ومسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ٤ / ١٠٧، برقم: (١٣٥٠).

(٧٢) صحيح البخاري، أبواب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، ٢/٣، برقم: (١٧٧٣).

(٧٣) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة،

((١٩٥٩))

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢٧/١٤١٥هـ)، ٣٩/١.

(٧٩) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، ٦٥/١، برقم: (٣٨).

(٨٣) الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن السلمي الشهير بابن رجب، ولد سنة (٧٣٦هـ) في بغداد، كان فقيهاً ومحدثاً وواعظاً شهيراً، قال ابن مفلح: الشيخ العلامة الحافظ الزاهد شيخ الحنابلة من مؤلفاته: جامع العلوم والحكم، أهوال القبور، توفي سنة (٧٩٥هـ) رحمه الله. (شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، تخريج: عبد القادر الأرناؤوط، (بيروت، دمشق: دار ابن كثير، ط ١/١٤٠٦هـ)، ٣٣٩/٦، (سير أعلام النبلاء، ٢٢/١٦٥).

(٨٠) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي: بني الإسلام على خمس، ١٠/١.

(٨١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي، قرأ على العلماء الكبار من أمثال المجد الحرائي وابن تيمية، وكان جريئ الجنان واسع العلم عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف وغلب عليه حب ابن تيمية وكان لا يكاد يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له، بل هو من هذب كتبه ونشر علمه، واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة، وكان ملازماً للاشتغال ليلًا ونهارًا كثير الصلاة والتلاوة حسن الخلق كثير التودد لا يحسد ولا يحقد، وله تصانيف نافعة جدًا ومنها: إعلام الموقعين، ومفتاح دار السعادة، والروح وحادي الأرواح، والصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، مات رحمه الله سنة (٧٥١هـ) وكانت جنازته حافلة جدًا ورئيت له منامات حسنة. (الدرر الكامنة، ١٤٠/٥).

(٨٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ٥٣٤/١، برقم: (٧٧٠).

(٨٢) زاد المعاد في هدي خير العباد،

(٨٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١/١٤٢١هـ)، ٥٦٠/٣٨، برقم: (٢٣٥٨٨). وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: الحديث صحيح لغيره.

والحديث أخرجه أصحاب السنن أيضًا.
(٨٦) المصدر السابق، ٢٤٥/٣، برقم:
(١٧١٨). وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط:
الحديث صحيح.

قائمة المصادر والمراجع:

- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١/١٤٢٦هـ).
- القرآن الكريم
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط ١٥/٢٠٠٢م).
- الأحكام السلطانية، علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، (القاهرة: دار الحديث).
- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١٥/١٤١٥هـ).
- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (مكة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ٣/١٤١٩هـ).
- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن
- أخبار مكة في قديم الدهر

الدين أبو الفرج الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).

- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢٧/١٥١٥هـ).

- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (دار الفكر العربي، ط٠).

- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣/٤٠٥هـ).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، تحقيق: محمود الأرنؤوط، تخريج: عبد القادر الأرنؤوط، (بيروت، دمشق: دار ابن كثير، ط١/١٤٠٦هـ).

- الصحاح تاج اللغة وصحاح

كثير أبو الفداء القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط١٩/١٤١٩هـ).

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢٠هـ).

- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي، (الهند: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ط١/١٣٩٣هـ).

- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملّي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر (من الفاتحة وحتى الآية ٢٧ من سورة إبراهيم)، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، ١٤٢٠هـ).

- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال

- العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤/١٤٠٧هـ).
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١/١٤٢٢هـ).
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ط٣/١٤٠٧هـ).
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١/١٤١٠هـ).
- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: جماعة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١/١٤٠٣هـ).
- كتاب العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، ط٠).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري)، محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم جار الله الزمخشري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣/١٤٠٧هـ).
- لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٠/٣).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (المعارف، ط٢).

- (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١/١٤٢٢هـ).
- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٠).
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢١هـ).
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (التفسير الوجيز)، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط١/١٤١٥هـ).
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط١/١٤٠٨هـ).
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١/١٤١٥هـ).
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (بيروت: عالم الكتب، ط١/١٤٢٩هـ)، ٣/١٨٧٨.
- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، (دار الدعوة، ط٠).
- مرجع الكتروني: أهداف الحج ومقاصده، (موقع الشيخ عبد العزيز بن باز)، رابط الاستعادة: <https://cutt.us/vzRYD>
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) أو (تفسير الرازي)، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣/١٤٢٠هـ).
- مقال بعنوان: نبذة عن حياة الشيخ الطاهر ابن عاشور وعقيدته ومنهجه في التفسير،

منشور في موقع الإسلام سؤال
وجواب، رابط الاستعادة:

<https://cutt.us/W8Rbt>